سورة الإسراء

١ـ سميت في كثير من المصاحف سورةَ الإسراءِ، وصَرَّح الألوسي بأنها سميت بذلك؛ إذ قد ذكر في أولها الإسراء بالنبي ﷺ واختصت بذكره.

وتسمى في عهد الصحابة سورة بني إسرائيل، ففي جامع الترمذي في أبواب الدعاء عن عائشة ـرضي الله عنهاـ قالت: «**كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل**».

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود أنه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم: «**إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي**».

وبذلك ترجم لها البخاري في (كتاب التفسير) والترمذي في (أبواب التفسير).

ووجه ذلك أنها ذكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها، وهو استيلاء قوم أولي بأس (الآشوريين) عليهم ثم استيلاء قوم آخرين وهم (الروم) عليهم.

وتسمى ـأيضاًـ سورة ﴿سُبْحَانَ﴾ لأنها افتتحت بهذه الكلمة، قاله في «بصائر ذوي التمييز».

وهي مكية عند الجمهور، قيل: إلا آيتين منها، وهما: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَلِيلاً﴾.

وقيل: إلا أربعاً، هاتين الآيتين، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية.

وقيل: إلا خمساً، هاته الأربع، وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ إلى آخر السورة.

وقيل: إلا خمس آيات غير ما تقدم، وهي المبتدأة بقوله: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ الآية، وقوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ أَقِمْ الصَّلاةَ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ الآية.

وقيل إلا ثمانياً من قوله: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾. ١٥/٥ـ٦

٢ـ **وقد اختلف في وقت الإسراء**، والأصح أنه كان قبل الهجرة بنحو سنة وخمسة أشهر، فإذا كانت قد نزلت عقب وقوع الإسراء بالنبيﷺ تكون قد نزلت في حدود سنة اثنتي عشرة بعد البعثة، وهي سنة اثنتين قبل الهجرة في منتصف السنة.

وليس افتتاحها بذكر الإسراء مقتضياً أنها نزلت عقب وقوع الإسراء.

بل يجوز أنها نزلت بعد الإسراء بمدة.

وذكر فيها الإسراء إلى المسجد الأقصى؛ تنويهاً بالمسجد الأقصى وتذكيراً بحرمته.

نزلت هذه السورة بعد سورة القصص وقبل سورة يونس.

وعدت السورة الخمسين في تعداد نزول سورة القرآن.

وعدد آيها مائة وعشر في عد أهل العدد بالمدينة، ومكة، والشام، والبصرة، ومائة وإحدى عشرة في عد أهل الكوفة. ١٥/٦ـ٧

٣ـ **أغراضها: العماد الذي أقيمت عليه أغراض هذه السورة** إثباتُ نبوة

محمدﷺ ، وإثباتُ أن القرآنَ وحيٌ من الله ، وإثباتُ فضلِه وفضلِ مَنْ أنزل عليه ، وذِكْرُ أنه مُعْجِزٌ.

وردُّ مطاعن المشركين فيه ، وفيمن جاء به ، وأنهم لم يفقهوه؛ فلذلك أعرضوا عنه .

وإبطالُ إحالتهم أن يكون النبي ﷺ أُسري به إلى المسجد الأقصى؛ فافتتحت بمعجزة الإسراء؛ توطئةً للتنظير بين شريعة الإسلام وشريعة موسى -عليه الصلاة والسلام- على عادة القرآن في ذكر المثل والنظائر الدينية ، ورمزاً إلهياً إلى أن الله أعطى محمداً ﷺ من الفضائل أفضلَ مما أعطى مَنْ قَبْلَهُ.

وأنه أَكْمَلَ له الفضائلَ؛ فلم يَفُتْهُ منها فائتٌ؛ فمن أَجْلِ ذلك أَحَلَّه بالمكان المُقَدَّس الذي تداولَتْهُ الرسل مِنْ قَبْل؛ فَلَمْ يَسْتَأْثِرْهُمْ بالحلول بذلك المكان الذي هو مهبطُ الشريعةِ المُوْسَوية ، ورمزُ أطوارِ تاريخِ بني إسرائيلَ وأسلافِهم ، والذي هو نظيرُ المسجدِ الحرامِ في أَنَّ أصلَ تأسيسه في عهد إبراهيمَ كما سننبه عليه عند تفسير قوله -تعالى- : ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ فأحل الله به محمداً -عليه الصلاة والسلام- بعد أن هُجِرَ وخُرِّب؛ إيماءً إلى أن أُمَّتَهُ تُجَدِّدُ مَجْدَهُ.

وأن اللهَ مَكَّنه من حرمي النبوَّة والشريعة؛ فالمسجدُ الأقصى لم يكن معموراً حين نزول هذه السورة ، وإنما عُمِرَتْ كَنَائِسُ حولَه ، وأن بني إسرائيل لم يحفظوا حُرْمَةَ المسجدِ الأقصى؛ فكان إفسادهم سبباً في تسلطِ أعدائهم عليهم ، وخرابِ المسجد الأقصى.

وفي ذلك رمزٌ إلى أن إعادةَ المسجدِ الأقصى ستكون على يدِ أُمَّةِ هذا الرسولِ

الذي أنكروا رسالَتَهُ.

ثم إثباتُ دلائلِ تَفَرُّدِ اللهِ بالإلهية، والاستدلالُ بآيةِ الليلِ والنهار، وما فيهما من المنن على إثبات الوحدانية.

والتذكيرُ بالنعم التي سخَّرها اللهُ للناس، وما فيها من الدلائل على تفرده بتدبير الخلق، وما تقتضيه مِنْ شُكْرِ المُنْعِمِ، وتركِ شُكْرِ غيره، وتنزيهه عن اتخاذِ بناتٍ له.

وإظهارُ فضائلَ مِنْ شريعةِ الإسلام وحكمته، وما علمه اللهُ المسلمين من آدابِ المعاملةِ نحوَ ربِّهم -سبحانه- ومعاملةِ بعضِهم مع بعض، والحكمةِ في سيرتهم وأقوالهم، ومراقبةِ الله في ظاهرهم وباطنهم.

وعن ابن عباس أنه قال: «التوراةُ كلُّها في خَمْسَ عشرةَ آيةً من سورة بني إسرائيل».

وفي رواية عنه: «ثمانَ عشرةَ آيةً منها كانت في ألواح موسى».

أي من قوله -تعالى-: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾ إلى قوله: ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾.

ويعني بالتوراةِ الألواحَ المشتملةَ على الوصايا العشرِ، وليس مرادُه أنَّ القرآنَ حكى ما في التوراة، ولكنها أحكامٌ قرآنيةٌ موافقةٌ لما في التوراة.

على أن كلامَ ابنِ عباسٍ معناه: أن ما في الألواح مذكورٌ في تلك الآي، ولا يريد أنهما سواء؛ لأن تلك الآياتِ تزيدُ بأحكام، منها قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ وقوله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ وقوله: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ

رَبُّكَ مِنْ الْحِكْمَةِ﴾ مع ما تخلل ذلك كله من تفصيلٍ، وتَبْيِينٍ عَرِيَتْ عنه الوصايا العشرُ التي كتبت في الألواح.

وإثباتُ البعثِ والجزاءِ.

والحثُّ على إقامة الصلوات في أوقاتها.

والتحذيرُ من نَزْغِ الشيطان، وعداوتِه لآدم وذريته، وقصةُ إبايَتِهِ من السجود.

والإنذارُ بعذاب الآخرة.

وَذِكْرُ ما عرضَ للأمم مِن أسباب الاستئصال والهلاك.

وتهديدُ المشركين بأن اللهَ يوشك أن ينصر الإسلام على باطلهم.

وما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين واستعانتهم باليهود.

واقتراحُهم الآيات، وتَحْمِيْقُهم في جهلهم بآية القرآن وأنه الحق.

وتخلل ذلك من المُسْتَطْرَدات والنذر والعظات ما فيه شفاءٌ ورحمةٌ، ومن الأمثالِ ما هو علمٌ وحكمة. ١٥/٧ـ٩

٤ـ ولما فتح المسلمون بقية أرض الشام في زمن عمر وجاء عمر بن الخطاب ليشهد فتح مدينة إيليا[١] وهي المعروفة من قبل (أورشليم) وصارت تسمى إيلياء ـبكسر الهمزة وكسر اللامـ وكذلك كان اسمها المعروف عند العرب عندما فتح المسلمون فلسطين.

وإيلياء اسم نبي من بني إسرائيل كان في أوائل القرن التاسع قبل المسيح، قال

١ـ انظر (الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل) في ذكر خراب المسجد الأقصى.

ولم أقف على وجه تسمية أورشليم باسم إيلياء المذكور، ولعله هو سمي باسم المدينة المقدسة عندهم.

الفرزدق:

وبيتـان بيـت الله نحـن ولاتـه　　　وبيت بأعلى إيلياء مـشرف

وانعقد الصلح بين عمر وأهل تلك المدينة وهم نصارى، قال عمر لبطريق لهم اسمه (صفرونيوس): «**دلني على مسجد داود**».

فانطلق به حتى انتهى إلى مكان الباب، وقد انحدر الزبل على درج الباب، فتجشم عمر حتى دخل ونظر فقال: «**الله أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أسري به إليه**».

ثم أخذ عمر والمسلمون يكنسون الزبل عن الصخرة حتى ظهرت كلها، ومضى عمر إلى جهة محراب داود؛ فصلى فيه، ثم ارتحل من بلد القدس إلى فلسطين.

ولم يَبْنِ هنالك مسجداً إلى أن كان في زمن عبدالملك بن مروان أمر بابتداء بناء القبة على الصخرة وعمارة المسجد الأقصى، ووكل على بنائها رجاء بن حيوة الكندي أحد علماء الإسلام؛ فابتدأ ذلك سنة ست وستين، وكان الفراغ من ذلك في سنة ثلاث وسبعين.

كان عمرُ أولَ من صلى فيه من المسلمين، وجعل له حرمة المساجد.

ولهذا فتسمية ذلك المكان بالمسجد الأقصى في القرآن تسميةً قرآنية اعتبر فيها ما كان عليه من قبل؛ لأن حكم المسجدية لا ينقطع عن أرض المسجد؛ فالتسمية باعتبار ما كان، وهي إشارة خفية إلى أنه سيكون مسجداً بأكمل حقيقة المساجد.

واستقبله المسلمون في الصلاة من وقت وجوبها المقارن ليلة الإسراء إلى ما بعد الهجرة بستة عشر شهراً، ثم نسخ استقباله وصارت الكعبةُ هي القبلةَ الإسلامية.

وقد رأيت أن سائحاً نصرانياً اسمه (اركولف) زار القدس سنة ٦٧٠م، أي بعد خلافة عمر بأربع وثلاثين سنة، وزعم أنه رأى مسجداً بناه عمر على شكل مربع من ألواح وجذوع أشجار ضخمة، وأنه يسع نحو ثلاثة آلاف[1].

والظاهر أن نسبة المسجد الأقصى إلى عمر بن الخطاب وهم من أوهام النصارى اختلط عليهم كشف عمر موضع المسجد؛ فظنوه بناءً.

وإذا صدق اركولف فيما ذكر من أنه رأى مكاناً مربعاً من ألواح وعمد أشجار كان ذلك شيئاً أحدثه مسلمو البلاد؛ لصيانة ذلك المكان عن الامتهان. ١٥/١٧ـ١٩

٥ـ **وقوله: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾**: صفة للمسجد الأقصى، وجيء في الصفة بالموصولية؛ لقصد تشهير الموصوف بمضمون الصلة حتى كأن الموصوف مشتهر بالصلة عند السامعين، والمقصود: إفادة أنه مباركٌ حوله.

وصيغة المفاعلة هنا للمبالغة في تكثير الفعل، مثل: عافاك الله.

والبركة: نماء الخير والفضل في الدنيا والآخرة بوفرة الثواب للمصلين فيه وبإجابة دعاء الداعين فيه.

وقد تقدم ذِكْرُ البركةِ عند قوله ـتعالى ـ: ﴿مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ في سورة آل عمران.

وقد وصف المسجد الحرام بمثل هذا في قوله ـتعالى ـ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ

١ـ مقال حرره عارف عارف في الجملة المسماة رسالة العلم بالمملكة الأردنية في عدد ٢ من السنة ١٢ كانون الأول سنة ١٩٦٨.

لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾.

ووجهُ الاقتصارِ على وصف المسجد الأقصى في هذه الآية بذكر هذا التبريك أن شهرة المسجد الحرام بالبركة، وبكونه مقامَ إبراهيمَ معلومة للعرب.

وأما المسجد الأقصى فقد تناسى الناس ذلك كله؛ فالعرب لا علم لهم به، والنصارى عفّوا أثره من كراهيتهم لليهود، واليهود قد ابتعدوا عنه، وأيسوا من عوده إليهم؛ فاحتيج إلى الإعلام ببركته. ١٩/١٥

٦ـ **ومعنى كون نوح ﴿عَبْداً﴾**: أنه مُعْتَرِفٌ لله بالعبودية غير متكبر بالإشراك، وكونه ﴿شَكُوراً﴾: أي شديداً لشكر الله بامتثال أوامره، وروي أنه كان يكثر حمد الله.

والاقتداء بصالح الآباء مجبولة عليه النفوس، و مَحَلٌّ تنافسٍ عند الأمم بحيث يعد خلاف ذلك كمثير للشك في صحة الانتساب.

وكان نوح ـعليه السلامـ مثلاً في كمال النفس، وكانت العرب تعرف ذلك، وتنبعث على الاقتداء به.

قال النابغة:

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

٢٧/١٥

٧ـ والإفساد مرتين ذكر في كتاب أشعياء، وكتاب أرمياء.

ففي كتاب أشعياء نذارات في الإصحاح الخامس والعاشر.

وأولى المرتين مذكورة في كتاب أرمياء في الإصحاح الثاني، والإصحاح

الحادي والعشرين وغيرهما.

وليس المراد بلفظ الكتاب كتاباً واحداً؛ فإن المفرد المعرف بلام الجنس يراد به المتعدد.

وعن ابن عباس: «**الكتاب أكثر من الكتب**».

ويجوز أن يراد بالكتاب التوراة وكتب الأنبياء؛ ولذلك -أيضاً- وقع بالإظهار دون الإضمار.

وجملة: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿حَصِيراً﴾ مبنية لجملة ﴿قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾.

وأيّاما كان فضمائر الخطاب في هذه الجملة مانعة من أن يكون المراد بالكتاب في قوله -تعالى-: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ، أو كتاب الله، أي علمه.

وهذه الآية تشير إلى حوادث عظيمة بين بني إسرائيل وأعدائهم من أمتين عظيمتين: حوادث بينهم وبين البابليين، وحوادث بينهم وبين الرومانيين، فانقسمت بهذا الاعتبار إلى نوعين: نوع منهما تندرج فيه حوادثهم مع البابليين، والنوع الآخر حوادثهم مع الرومانيين؛ فعبر عن النوعين بمرتين؛ لأن كل مرة منهما تحتوي على عدة ملاحم.

فالمرة الأولى: هي مجموع حوادث متسلسلة تسمى في التاريخ بالأسر البابلي[1]

١- هذا هو ما يعرف، ويسمى بالسبي البابلي: وهو المأساة التي يتذكرها اليهود بحسرة ومرارة، وهي ما حصل لهم عام ٦٠٣ قبل الميلاد، وقيل ٦٠٥ على يد عدد من الملوك البابليين.

» وقد أُثير حول هذه المأساة جدل كبير، ونُسجت فيه خرافات وأساطير، ولا تزال الدراسات عنها إلى يومنا هذا.

ولهذا صار العراق أحد مواطن الفجيعة والحزن لدى اليهود؛ فمنه انطلقت القوات التي قضت على دولة إسرائيل في العهد القديم عهد الملك الكلداني البابلي نبوخذ نصر، وانتهت حربه بواحدة من أكبر الفواجع في التاريخ اليهودي، وهي ما أطلق عليه مأساة (السبي البابلي).

ففي عام ٦٠٣ أو ٦٠٥ قبل الميلاد تولى نبوخذ نصر العرش الكلداني البابلي في العراق، وفي عهده بلغت الدولة أوجها، وحالف الملك اليهودي يواقيم إلا أن العلاقات بينهما تدهورت عندما حاول يواقيم التخلص من الحلف مع جاره القوي؛ فجرد نبوخذ نصر حملة عسكرية حاصر فيها القدس، وفتحها، واقتاد الملك الجديد يهويا كين، وحاشيته، وأركان حكمه، وأشراف دولته إلى بابل عام ٥٨٦ قبل الميلاد.

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى سبي بابلي لاحق بعد محاولة صدقيا ملك يهودا التمرد على الحكم الكلداني مما أدى إلى تجريد حملة بابلية أخرى انتهت عام ٥٨٦ قبل الميلاد بحرق هيكل سليمان ابن داود ـ عليه السلام ـ والقضاء على الدولة العبرية، وسبي حوالي ٥٠ ألف يهودي إلى العراق هم أغلبية ما تبقى في القدس، وقد ساقهم الكلدانيون مكبلين بالحديد والأصفاد إلى أراضي العراق.

وقد اختُلف كثيراً في هذا السبي ـكما مرـ واختُلف في مدة وقوعه؛ فقيل: استمر ٧٠ سنة، وقيل: ١٤٠ سنة.

وتحتفل الأدبيات اليهودية بالكثير من البكائيات، والذكريات المريرة عن هذه المحنة.

ولهذا يشعر اليهود أن امتلاك العراق لأي قوة فائقة يمكن أن يهدد أمن إسرائيل، وربما يؤدي إلى تكرار محنة (السبي البابلي) من جديد.

ولعل ما يؤكد ذلك ما قاله مناحيم بيغن رئيس الوزراء الإسرائيلي عام ١٩٨١م بعد الغارة على المفاعل النووي العراقي؛ حيث أعلن أنه لو لم يدمر المفاعل النووي العراقي لحدثت محرقة جديدة في تاريخ الشعب اليهودي.

ولعل هذا يفسر سر الهجمة على العراق، ومحاولة تفكيكه، وإضعافه. (م)

وهي غزوات (بختنصر) ملك بابل وأشور بلاد أورشليم، والغزو الأول كان سنة ٦٠٦ قبل المسيح، أسر جماعات كثيرة من اليهود ويسمى الأسر الأول، ثم غزاهم -أيضاً- غزواً يسمى الأسر الثاني، وهو أعظم من الأول، كان سنة ٥٩٨ قبل المسيح، وأسر ملك يهوذا وجمعاً غفيراً من الإسرائيلين وأخذ الذهب الذي في هيكل سليمان، وما فيه من الآنية النفيسة.

والأسر الثالث المبير سنة ٥٨٨ قبل المسيح غزاهم بختنصر، وسبى كل شعب يهوذا، وأحرق هيكل سليمان، وبقيت أورشليم خراباً يباباً، ثم أعادوا تعميرها كما سيأتي عند قوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾.

وأما المرة الثانية فهي سلسلة غزوات الرومانيين بلاد أورشليم، وسيأتي بيانها عند قوله -تعالى-: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ الآية. ١٥/٢٨-٣٠

٨- ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤) ﴾.

ومقتضى الآية التسوية بين الوالدين في البر وإرضاؤهما معاً في ذلك؛ لأن موردها لفعل يصدر من الولد نحو والديه، وذلك قابل للتسوية.

ولم تتعرض لما عدا ذلك مما يختلف فيه الأبوان، ويتشاحان في طلب فعل الولد إذا لم يمكن الجمع بين رغبتيهما بأن يأمره أحد الأبوين بضد ما يأمره به الآخر.

ويظهر أن ذلك يجري على أحوال تعارض الأدلة بأن يسعى إلى العمل

بطلبيهما إن استطاع.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أن رجلا سأل النبي ﷺ من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك**».

وهو ظاهر في ترجيح جانب الأم؛ لأن سؤال السائل دل على أنه يسأل عن حسن معاملته لأبويه.

وللعلماء أقوال: **أحدها: ترجيح الأم على الأب**: وإلى هذا ذهب الليث ابن سعد، والمحاسبي، وأبو حنيفة، وهو ظاهر قول مالك؛ فقد حكى القرافي في الفرق ٢٣ عن مختصر الجامع أن رجلا سأل مالكاً فقال: إن أبي في بلد السودان وقد كتب إلي أن أقدم عليه وأمي تمنعني من ذلك؟ فقال مالك: أطع أباك ولا تعص أمك.

وذكر القرافي في المسألة السابعة من ذلك الفرق أن مالكاً أراد منع الابن من الخروج إلى السودان بغير إذن الأم.

الثاني: قول الشافعية: أن الأبوين سواء في البر، وهذا القول يقتضي وجوب طلب الترجيح إذا أمرا ابنهما بأمرين متضادين.

وحكى القرطبي عن المحاسبي في كتاب الرعاية أنه قال: لا خلاف بين العلماء في أن للأم ثلاثةَ أرباع البر وللأب الربع.

وحكى القرطبي عن الليث أن للأم ثلثي البر وللأب الثلث؛ بناءً على اختلاف رواية الحديث المذكور أنه قال: ثم أبوك بعد المرة الثانية، أو بعد المرة الثالثة.

والوجه أن تحديد ذلك بالمقدار حوالة على ما لا ينضبط، وأن محمل الحديث مع اختلاف روايتيه على أن الأم أرجح على الإجمال. ١٥/٧١ـ٧٢

٩ـ **ومقصد الإسلام من الأمر ببر الوالدين وبصلة الرحم ينحل إلى مقصدين:**

أحدهما نفساني: وهو تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر؛ تخلقاً بأخلاق الباري ـتعالىـ في اسمه الشكور، فكما أمر بشكر الله على نعمة الخلق والرزق أمر بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصوري ونعمة التربية والرحمة.

وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها، وتنبيه على المنافسة في إسدائها.

والمقصد الثاني، عمراني: وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرى مشدودة الوثوق؛ فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة؛ ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم، ثم عاطفة الأبوة المنبعثة عن إحساس بعضه غريزي ضعيف، وبعضه عقلي قوي حتى أن أثر ذلك الإحساس لَيُساوي بمجموعه أثر عاطفة الأم الغريزية، أو يفوقها في حالة كبر الابن.

ثم وزع الإسلام ما دعا إليه من ذلك بين بقية مراتب القرابة على حسب الدنو في القرب النسبي بما شرعه من صلة الرحم، وقد عزز الله قابلية الانسياق إلى تلك الشرعة في النفوس. ١٥/٧٣ـ٧٤

١٠ـ **ووجه النهي عن التبذير هو**: أن المال جُعل عوضاً لاقتناء ما يحتاج إليه المرء في حياته من ضروريات وحاجيات وتحسينات، وكان نظام القصد في إنفاقه

ضامن كفايته في غالب الأحوال بحيث إذا أنفق في وجهه على ذلك الترتيب بين الضروري والحاجي والتحسيني أَمِنَ صاحبُه من الخصاصة فيما هو إليه أشد احتياجاً، فتجاوز هذا الحد فيه يسمى: تبذيراً بالنسبة إلى أصحاب الأموال ذات الكفاف.

وأما أهل الوفر والثروة فلأن ذلك الوفر آت من أبواب اتسعت لأحد فضاقت على آخر لا محالة؛ لأن الأموال محدودة؛ فذلك الوفر يجب أن يكون محفوظاً لإقامة أَوَدِ المعوزين وأهل الحاجة الذين يزداد عددهم بمقدار وفرة الأموال التي بأيدي أهل الوفر والجِدَةِ؛ فهو مرصود لإقامة مصالح العائلة والقبيلة وبالتالي مصالح الأمة.

فأحسن ما يبذل فيه وفر المال هو اكتساب الزلفى عند الله، قال -تعالى-: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ واكتساب المحمدة بين قومه.

وقديماً قال المثل العربي: «نعم العون على المروءة الجِدَةُ».

وقال: «اللهم هب لي حمداً، وهب لي مجداً؛ فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال».

والمقصد الشرعي أن تكون أموال الأمة عُدَّةً لها، وقوة لابتناء أساس مجدها، والحفاظ على مكانتها حتى تكون مرهوبة الجانب، مرموقة بعين الاعتبار غير محتاجة إلى من قد يستغل حاجتها؛ فيبتز منافعها، ويدخلها تحت نَيرِ سلطانه.

٧٩/١٥

١١- ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ

خِطْئًا كَبِيراً (٣١)﴾ : عطف جملة حكم على جملة حكم للنهي عن فعل ينشأ عن اليأس من رزق الله.

وهذه الوصية السابعة من الأحكام المذكورة في آية : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ..﴾ الآية.

وغُيِّر أسلوب الإضمار من الإفراد إلى الجمع؛ لأن المنهي عنه هنا من أحوال الجاهلية؛ زجراً لهم عن هذه الخطيئة الذميمة.

وتقدم الكلام على نظير هذه الآية في سورة الأنعام، ولكن بين الآيتين فرقاً في النظم من وجهين: الأول: أنه قيل هنا: ﴿خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ وقيل في آية الأنعام ﴿مِنْ إِمْلاقٍ﴾.

ويقتضي ذلك أن الذين كانوا يئدون بناتهم يئدونهن لغرضين: إما لأنهم فقراء لا يستطيعون إنفاق البنت، ولا يرجون منها إن كبرت إعانة على الكسب؛ فهم يئدونها لذلك، فذلك مورد قوله في الأنعام: ﴿مِنْ إِمْلاقٍ﴾ فإن ﴿مِنْ﴾ التعليلية تقتضي أن الإملاق سبب قتلهن فيقتضي أن الإملاق موجود حين القتل.

وإما أن يكون الحامل على ذلك ليس فقر الأب، ولكن خشية عُروض الفقر له، أو عروض الفقر للبنت بموت أبيها؛ إذ كانوا في جاهليتهم لا يورِّثون البنات؛ فيكون الدافع للوأد هو توقُّعَ الإملاق، كما قال إسحاق بن خلف ـ شاعر إسلامي قديم ـ :

إذا تذكرت بنتي حين تَنْدِبُني ... فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم
أحاذر الفقر يوماً أن يُلِمَّ بها ... فيهتك الستر عن لحم على وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً ... والموت أكرم نزَّال على الحُرم
أخشى فظاظَة عمٍّ أو جفاء أخٍ ... وكنت أخشى عليها من أذى الكلم

فلتحذير المسلمين من آثار هذه الخواطر ذُكِّروا بتحريم الوأد وما في معناه.

وقد كان ذلك في جملة ما تؤخذ عليه بيعة النساء المؤمنات كما في آية سورة الممتحنة.

ومن فقرات أهل الجاهلية: «دفن البنات من المكرمات».

وكلتا الحالتين من أسباب قتل الأولاد تستلزم الأخرى، وإنما التوجيه للمنظور إليه بادئ ذي بدء.

الوجه الثاني: فمن أجل هذا الاعتبار في الفرق للوجه الأول قيل هنالك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ بتقديم ضمير الآباء على ضمير الأولاد؛ لأن الإملاق الدافع للوأد المحكي به في آية الأنعام هو إملاق الآباء؛ فقدم الإخبار بأن الله هو رازقهم، وكمل بأنه رازق بناتهم.

وأما الإملاق المحكي في هذه الآية فهو الإملاق المخشي وقوعه.

والأكثر أنه توقع إملاق البنات ـ كما رأيت في الأبيات ـ فلذلك قدم الإعلام بأن الله رازق الأبناء، وكمل بأنه رازق آبائهم، وهذا من نُكَتِ القرآن.

والإملاق: الافتقار، وتقدم الكلام على الوأد عند قوله ـتعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ في سورة الأنعام. ١٥/٨٧ـ٨٨

١٢ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾: عطف هذا النهي على النهي عن وأد البنات؛ إيماءً إلى أنهم كانوا يعدون من أعذارهم في وأد البنات الخشية من العار الذي قد يلحق من جراء إهمال البنات الناشئ عن الفقر الرامي بهن في مهاوي العهر، ولأن في الزنى إضاعة نسب النسل بحيث لا يعرف

للنسل مرجع يأوي إليه، وهو يشبه الوأد في الإضاعة. ٨٩/١٥

١٣ـ **والقرب المنهي عنه**: هو أقل الملابسة، وهو كناية عن شدة النهي عن ملابسة الزنا، وقريب من هذا المعنى قولهم: ما كاد يفعل.

والزنى في اصطلاح الإسلام: مجامعة الرجل امرأة غير زوجته له ولا مملوكة غير ذات الزوج.

وفي الجاهلية الزنى: مجامعة الرجل امرأة حرة غير زوج له، وأما مجامعة الأمة غير المملوكة للرجل فهو البغاء. ٩٠/١٥

١٤ـ **وعناية الإسلام بتحريم الزنى**؛ لأن فيه إضاعة النسب، وتعريض النسل للإهمال إن كان الزنى بغير متزوجة، وهو خلل عظيم في المجتمع، ولأن فيه إفسادَ النساءِ على أزواجهن والأبكارِ على أوليائهن، ولأن فيه تعريضَ المرأة إلى الإهمال بإعراض الناس عن تزوجها، وطلاق زوجها إياها، ولما ينشأ عن الغيرة من الهرج والتقاتل. ٩٠/١٥

١٥ـ **فالزنى** مَئِنَّةٌ لإضاعة الأنساب، ومَظِنَّةٌ للتقاتل والتهارج؛ فكان جديراً بتغليظ التحريم قصداً وتوسلاً.

ومن تأمل ونظر جزم بما يشتمل عليه الزنى من المفاسد ولو كان المتأمل ممن يفعله في الجاهلية فَقُبْحُه ثابت لذاته، ولكن العقلاء متفاوتون في إدراكه وفي مقدار إدراكه؛ فلما أيقظهم التحريم لم يبق للناس عذر. ٩١/١٥

١٦ـ ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦)﴾.

القفو: الاتباع، يقال: قفاه يقفوه إذا اتبعه، وهو مشتق من اسم القفا، وهو ما وراء العنق؛ واستعير هذا الفعل هنا للعمل.

والمراد بـ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾: الخاطر النفساني الذي لا دليل عليه، ولا غلبة ظن به.

ويندرج تحت هذا أنواع كثيرة، منها: خَلَّةٌ من خلال الجاهلية، وهي الطعن في أنساب الناس؛ فكانوا يرمون النساء برجال ليسوا بأزواجهن، ويليطون بعض الأولاد بغير آبائهم بهتاناً، أو سوء ظن إذا رأوا بعداً في الشبه بين الابن وأبيه، أو رأوا شبهه برجل آخر من الحي، أو رأوا لوناً مخالفاً للون الأب أو الأم؛ تخرصاً وجهلاً بأسباب التَّشَكُّل؛ فإن النسل ينزع في الشبه، وفي اللون إلى أصول من سلسلة الآباء أو الأمهات الأدنين أو الأبعدين، وجهلاً بالشبه الناشئ عن الرحم.

وقد جاء أعرابي إلى النبيﷺ فقال: إن امرأتي ولدت ولداً أسود ـ يريد أن ينتفي منه ـ فقال له النبي: «**هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانهن؟ قال: ورق، قال: وهل فيها من جمل أسود؟ قال: نعم، قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعله عرق نزعه، فقال النبيﷺ: فلعل ابنك نزعه عرق**».

ونهاه عن الانتفاء منه؛ فهذا كان شائعاً في مجتمعات الجاهلية؛ فنهى الله المسلمين عن ذلك.

ومنها القذف بالزنى وغيره من المساوي بدون مشاهدة، وربما رموا الجيرة من الرجال والنساء بذلك.

وكذلك كان عملهم إذا غاب زوج المرأة لم يلبثوا أن يلصقوا بها تهمةً ببعض جيرتها.

وكذلك يصنعون إذا تزوج منهم شيخ مسن امرأة شابة أو نَصَفاً؛ فولدت له ألصقوا الولد ببعض الجيرة.

ولذلك لما قال النبيﷺ يوماً: «**سلوني**» أكثر الحاضرون أن يسأل الرجل فيقول: من أبي؟ فيقول: أبوك فلان.

وكان العرب في الجاهلية يطعنون؛ فينسب أسامة بن زيد من أبيه زيد بن حارثة؛ لأن أسامة كان أسود اللون، وكان زيد أبوه أبيضَ أزهرَ، وقد أثبت النبيﷺ أن أسامة بن زيد بن حارثة؛ فهذا خلق باطل كان متفشياً في الجاهلية نهى الله المسلمين عن سوء أثره.

ومنها تجنب الكذب، قال قتادة: «لا تقف: لا تقل: رأيت وأنت لم تر، ولا سمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم».

ومنها شهادة الزور وشملها هذا النهي، وبذلك فسر محمد بن الحنفية وجماعة.

وما يشهد لإرادة جميع هذه المعاني تعليل النهي بجملة: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾.

فموقع الجملة موقع تعليل، أي أنك أيها الإنسان تسأل عما تسنده إلى سمعك، وبصرك، وعقلك بأن مراجع القفو المنهي عنه إلى نسبة لسمع، أو بصر، أو عقل في المسموعات، والمبصرات، والمعتقدات.

وهذا أدب خلقي عظيم، وهو -أيضاً- إصلاح عقلي جليل يُعَلِّم الأمة التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية بحيث لا يختلط عندها المعلوم والمظنون والموهوم.

ثم هو -أيضاً- إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة من الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جَرَّاء الاستناد إلى أدلة موهومة. ١٥/١٠٠-١٠١

١٧- واعلم أن ارتباط رد مقالتهم بقوله: ﴿كُونُوا حِجَارَةً﴾ الخ غامض؛ لأنهم إنما استبعدوا أو أحالوا إرجاع الحياة إلى أجسام تفرقت أجزاؤها، وانخرم هيكلها، ولم يعللوا الإحالة بأنها صارت أجساماً ضعيفة؛ فيرد عليهم بأنها لو كانت من أقوى الأجسام لأعيدت لها الحياة.

فبنا[1] أن نبين وجه الارتباط بين الرد على مقالتهم وبين مقالتهم المردودة، وفي ذلك ثلاثة وجوه:

أحدها: أن تكون صيغة الأمر في قوله: ﴿كُونُوا﴾ مستعملة في معنى التسوية، ويكون دليلاً على جواب محذوف تقديره: إنكم مبعوثون سواء كنتم عظاماً ورفاتاً، أو كنتم حجارة أو حديداً؛ تنبيهاً على أن قدرة الله -تعالى- لا يتعاصى عليها شيء، وذلك إدماج يجعل الجملة في معنى التذييل.

الوجه الثاني: أن تكون صيغة الأمر في قوله: ﴿كُونُوا﴾ مستعملة في الفرض، أي لو فرض أن يكون الأجساد من الأجسام الصلبة وقيل لكم: إنكم مبعوثون بعد الموت لأحلتم ذلك، واستبعدتم إعادة الحياة فيها.

وعلى كلا الوجهين يكون قوله: ﴿مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ نهاية الكلام،

١- هكذا في الأصل، ولعل الصواب: فرغبنا أو نحوها. (م)

ويكون قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ مُفَرَّعاً على جملة: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا﴾ الخ تفريعاً على الاستئناف، وتكون الفاء للاستئناف، وهي بمعنى الواو على خلافٍ في مجيئها للاستئنافِ، والكلامُ انتقالٌ لحكاية تكذيب آخر من تكذيباتهم.

الوجه الثالث: أن يكون قوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ كلاماً مستأنفاً ليس جواباً على قولهم: ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً﴾ الخ؛ وتكون صيغة الأمر مستعملة في التسوية.

وفي هذا الوجه يكون قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ متصلاً بقوله: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ الخ، ومفرعاً على كلام محذوف يدل عليه قوله: ﴿كُونُوا حِجَارَةً﴾ أي فلو كانوا كذلك لقالوا: من يعيدنا، أي لانتقلوا في مدارج السفسطة من إحالة الإعادة إلى ادعاء عدم وجود قادر على إعادة الحياة لهم؛ لصلابة أجسادهم.

وبهذه الوجوه يلتئم نظم الآية، وينكشف ما فيه من غموض. ١٥/١٢٥ـ١٢٦

١٨ـ **والحديد:** تراب معدني، أي لا يوجد إلا في مغاور الأرض، وهو تراب غليظ مختلف الغِلَظِ، ثقيلٌ أدكَنَ اللون، وهو إما مُحَتَّتُ الأجزاءِ، وإما مُورِقُها، أي مثل الورق.

وأصنافه ثمانية عشر باعتبار اختلاف تركيب أجزائه، وتتفاوت ألوان هذه الأصناف، وأشرف أصنافه الخالص، وهو السالم في جميع أجزائه من المواد الغريبة.

وهذا نادر الوجود، وأشهر ألوانه الأحمر، ويقسم باعتبار صلابته إلى صنفين

أصليين يسميان الذكر والأنثى؛ فالصُّلَب هو الذكر، واللِّين الأنثى.

وكان العرب يصفون السيف الصلب القاطع بالذكر.

وإذا صهر الحديد بالنار تمازجت أجزاؤه، وتَمَيَّع وصار كالحلواء؛ فمنه ما يكون حديدَ صبٍّ، ومنه ما يكون حديدَ تطريقٍ، ومنه فولاذ.

وكل صنف من أصنافه صالح لما يناسب سَبْكه منه على اختلاف الحاجة فيها إلى شدة الصلابة مثل السيوف والدروع.

ومن خصائص الحديد أن يعلوه الصدأ، وهو كالوسخ أخضر ثم يستحيل تدريجاً إلى أكسيد ـ كلمة كيمياوية تدل على تعلق أجزاء الأكسجين بجسم فتفسده ـ.

وإذا لم يتعهد الحديد بالصقل والزيت أخذ الصدأ في نخر سطحه.

وهذا المعدن يوجد في غالب البلاد، وأكثر وجوده في بلاد الحبشة وفي صحراء مصر، وَوُجِدت في البلاد التونسية معادن من الحديد.

وكان استعمال الحديد من العصور القديمة؛ فإن الطور الثاني من أطوار التاريخ يعرف بالعصر الحديدي، أي الذي كان البشر يستعمل فيه آلاتٍ مُتَّخَذَةً من الحديد، وذلك من أثر صنعة الحديد، وذلك قبل عصر تدوين التاريخ، والعصر الذي قبله يعرف بالعصر الحجري.

وقد اتصلت بتعيين الزمن الذي ابتدئ فيه صنع الحديد أساطير واهية لا ينضبط بها تاريخه.

والمقطوع به أن الحديد مستعمل عند البشر قبل ابتداء كتابة التاريخ، ولكونه يأكله الصدأ عند تعرضه للهواء والرطوبة لم يبق من آلاته القديمة إلا شيء قليل.

وقد وُجِدَت في طَيْبَة، ومدافن الفراعنة في منفيس بمصر صُوَرٌ على الآثار مرسوم عليها: صور خزائن شاحذين مداهم، وقد صبغوها في الصور باللون الأزرق لون الفولاذ، وذلك في القرن الحادي والعشرين قبل التاريخ المسيحي.

وقد ذكر في التوراة وفي الحديث قصة الذبيح، وقصة اختتان إبراهيم بالقدوم، ولم يُذكَر أن السكين ولا القدوم كانتا من حجر الصوان؛ فالأظهر أنه بآلة الحديد.

ومن الحديد تُتَّخذ السلاسل للقيد، والمقامع للضرب. ١٥/١٢٦ـ١٢٧

١٩ـ ولما كان ما سبق من حكاية أقوال المشركين تنبئ عن ضلال اعتقاد نقل الكلام إلى أمر المؤمنين بأن يقولوا أقوالاً تُعْرِبُ عن حسن النية، وعن نفوس زكية.

وأوتوا في ذلك كلمة جامعة وهي: ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

و﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ صفة لمحذوف يدل عليه فعل ﴿يَقُولُوا﴾ تقديره: بالتي هي أحسن، وليس المراد مقالة واحدة.

واسم التفضيل مستعمل في قوة الحسن، ونظيره قوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي بالمجادلات التي هي بالغة الغاية في الحسن؛ فإن المجادلة لا تكون بكلمة واحدة. ١٥ـ١٣١

٢٠ـ والمقصد الأهم من هذا التأديب: تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضاً بحسن المعاملة، وإلانة القول؛ لأن القول يَنِمُّ عن المقاصد بقرينة قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾.

ثم تأديبهم في مجادلة المشركين؛ اجتناباً لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم، فذلك من نزغ الشيطان بينهم وبين عدوهم.

قال -تعالى-: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾.

والمسلمون في مكة يومئذ طائفة قليلة، وقد صرف الله عنهم ضر أعدائهم بتصاريف من لطفه؛ ليكونوا آمنين؛ فأمرهم أن لا يكونوا سبباً في إفساد تلك الحالة. ١٥/١٣٢

٢١- **والينبوع**: اسم للعين الكثيرة النبع التي لا ينضب ماؤها، وصيغة يفعول صيغة مبالغة غير قياسية، والينبوع مشتقة من مادة النبع؛ غير أن الأسماء الواردة على هذه الصيغة مختلفة، فبعضها ظاهر اشتقاقه كالينبوع واليَنبوت، وبعضها خفي كاليعبوب للفرس الكثير الجري، وقيل: اشتق من العب المجازي.

ومنه أسماء مُعَرَّبة[1] جاء تعريبها على وزن يفعول مثل: يكسوم اسم قائد حبشي، ويرموك اسم نهر.

وقد استقرى الحسن الصاغاني ما جاء من الكلمات في العربية على وزن يفعول في مختصر له مرتب على حروف العجم.

وقال السيوطي في المزهر: «إن ابن دريد عقد له في الجمهرة باباً». ١٥-٢٠٨

٢١- **والمقصود**: أننا آتينا موسى -عليه السلام- تسع آياتٍ بيناتِ الدلالة على

١- المُعَرَّب: اسم مفعول من الفعل عَرَّب، يعرِّب، والمصدر تعريباً.

والمُعَرَّب: هو الذي جُعِل عربياً.

وقد عرَّفه السيوطي في المزهر ١/٦٨ بقوله: «هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها».

وقال الجوهري في الصحاح ١/٢٧١: «تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها».

صدقه، فلم يهتد فرعون وقومه، وزعموا ذلك سحراً؛ ففي ذلك مثل للمكابرين كلهم، وما قريش إلا منهم؛ ففي هذا مثل للمعاندين وتسلية للرسول.

والآيات التسع هي: بياضُ يده كلما أدخلها في جيبه وأخرجها، وانقلاب العصا حيةً، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والرِّجْزَ وهو الدّمل، والقحط وهو السنون ونقص الثمرات، وهي مذكورة في سورة الأعراف، وجمعها الفيروز آبادي في قوله:

عصا، سَنَةٌ، بحر، جراد، وقمل يد، ودم، بعد الضفادع طوفان

فقد حصلت بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الحجةُ على المشركين الذين يقترحون الآيات. ١٥/٢٢٤ـ٢٢٥

سورة الكهف

١ ـ سماها رسول الله ﷺ سورة الكهف.

روى مسلم، وأبو داود، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف**».

وفي رواية لمسلم: «**من آخر الكهف، عصم من فتنة الدجال**»، ورواه الترمذي عن أبي الدرداء بلفظ: «**من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال**».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح. ٢٤١/١٥

٢ـ وفي حديث أخرجه ابن مردويه عن النبي ﷺ أنه سماها سورة أصحاب الكهف. ٢٤١/١٥

٣ـ **وهي مكية** بالاتفاق كما حكاه ابن عطية، قال: «وروي عن فرقد أن أول السورة إلى قوله: ﴿جُرُزاً﴾ نزل بالمدينة».

قال: «والأول أصح».

وقيل: قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآيتين نزلتا بالمدينة، وقيل: قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ إلى آخر السورة نزل بالمدينة، وكل ذلك ضعيف ـ كما سيأتي التنبيه عليه في مواضعه ـ.

نزلت بعد سورة الغاشية، وقبل سورة الشورى.

وهي الثامنة والستون في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد. ١٥/٢٤١-٢٤٢

٤- **وعدت آيها** في عدد قراء المدينة ومكة مائة وخمساً، وفي عدد قراء الشام مائة وستاً، وفي عدد قراء البصرة مائة وإحدى عشرة، وفي عد قراء الكوفة مائة وعشراً؛ بناءً على اختلافهم في تقسيم بعض الآيات إلى آيتين. ١٥/٢٤٢

٥- **أغراضُ السورةِ:** افْتُتِحَتْ بالتحميد على إنزال الكتاب للتنويه بالقرآن؛ تطاولاً من الله -تعالى- على المشركين وملقنيهم من أهل الكتاب.

وأُدْمِجَ فيه إنذارُ المعاندين الذين نسبوا لله ولداً، وبشارةٌ للمؤمنين، وتسليةُ رسول الله ﷺ عن أقوالهم حين تريُّث الوحيُ لِمَا اقتضته سُنَّةُ اللهِ مع أوليائه من إظهارِ عَتَبِهِ على الغفلة عن مراعاة الآداب الكاملة.

وذَكَرَ افتتانَ المشركين بالحياة الدنيا وزينتها، وأنها لا تكسب النفوسَ تَزْكِيةً.

وانْتَقَل إلى خبر أصحاب الكهف المسؤول عنه.

وحذَّرهم من الشيطان وعداوته لبني آدم؛ ليكونوا على حذرٍ مِنْ كيده.

وقَدَّم لقصة ذي القرنين قصةً أهمَّ منها، وهي قصةُ موسى والخضرِ -عليهما السلام- لأن كلتا القصتين تشابهتا في السَّفَرِ لِغَرَضٍ شريفٍ؛ فذو القرنين خرج لِبَسْطِ سلطانِه على الأرض، وموسى -عليه السلام- خرج في طلب العلم.

وفي ذكر قصة موسى تعريضٌ بأحبار بني إسرائيل؛ إذ تهمموا بخبر مَلِكٍ من غير قومهم، ولا من أهل دينهم، ونسوا خبراً من سيرة نبيهم.

وتخلل ذلك مستطرداتٌ من إرشاد النبي ﷺ وتثبيته، وأن الحقَّ فيما أخبر به، وأن أصحابَه الملازمين له خيرٌ من صناديد المشركين، ومن الوعدِ والوعيدِ، وتمثيلِ

المؤمن والكافر، وتمثيلِ الحياةِ الدنيا وانقضائها، وما يَعْقُبُها من البعث والحشر، والتذكيرِ بعواقبِ الأمم المكذبة للرسل، وما خُتِمَتْ به من إبطالِ الشركِ ووعيدِ أهلِه ووعدِ المؤمنين بضدِّهم، والتمثيل لسعة علم الله -تعالى-.

وخُتِمَتْ بتقرير أن القرآن وحيٌ من الله -تعالى- إلى رسوله ﷺ فكان في هذا الختام مُحَسِّن رَدِّ العَجُز على الصدر. ١٥/٢٤٥-٢٤٦

٦- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً (٨) ﴾.

مناسبة موقع هذه الآية هنا خفية جداً أعوز المفسرين بيانها، منهم ساكتٌ عنها، ومنهم محاولٌ بيانها بما لا يزيد على السكوت.

والذي يبدو: أنها تسليةٌ للنبيﷺ على إعراض المشركين بأن الله أمهلهم وأعطاهم زينة الدنيا لعلهم يشكرونه، وأنهم بَطِروا النعمة؛ فإن الله يسلب عنه النعمة؛ فتصير بلادهم قاحلة.

وهذا تعريضٌ بأنه سيحل بهم قَحْطُ السنين السبع التي سأل رسول الله ربه أن يجعلها على المشركين كسنين يوسف - عليه السلام -.

ولهذا اتصال بقوله: ﴿ لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ ﴾.

وموقع ﴿ إنّ ﴾ صدر هذه الجملة موقع التعليل للتسلية التي تضمنها قوله -تعالى-: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾.

ويحصل من ذلك تذكير بعضِهم قدرةَ الله -تعالى- وخاصة ما كان منها إيجاداً للأشياء وأضدادها من حياة الأرض، وموتها المماثل لحياة الناس وموتهم،

والمماثل للحياة المعنوية والموت المعنوي من إيمان وكفر، ونعمة ونقمة، كلها عبر لمن يعتبر بالتغيُّر، ويأخذ الأهبة إلى الانتقال من حال إلى حال؛ فلا يثق بِقُوَّته وبطشه؛ ليقيس الأشياء بأشباهها، ويعرض نفسه على معيار الفضائل، وحسنى العواقب. ١٥/٢٥٦

٧ـ **ولا تكون الأشياء زينة** إلا وهي مبثوثة فيها الحياة التي بها نماؤها وازدهارها، وهذه الزينة مستمرة على وجه الأرض منذ رآها الإنسان، واستمرارُها باستمرار أنواعها وإن كان الزوال يعرض لأشخاصها، فتخلفها أشخاص أخرى من نوعها؛ فيتضمن هذا امتناناً ببث الحياة في الموجودات الأرضية.

ومن لوازم هذه الزينة أنها توقظ العقول إلى النظر في وجود منشئها، وتسبر غور النفوس في مقدار الشكر لخالقها وجاعلها لهم؛ فمن موفٍ بحق الشكر، ومقصرٍ فيه، وجاحدٍ كافرٍ بنعمة هذا المنعم ناسِبٍ إياها إلى غير مُوْجِدِها.

ومن لوازمها ـ أيضاً ـ أنها تثير الشهوات لاقتطافها وَتَنَاوُلِها، فَتُسْتَثار من ذلك مختلفُ الكيفيات في تناولها وتعارض الشهوات في الاستيثار بها مما يفضي إلى تغالب الناس بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض.

وذلك الذي أوجد حاجتهم إلى الشرائع؛ لتضبط لهم أحوال معاملاتهم.

ولذلك عَلَّلَ جَعْلَ ما على الأرض زينة بقوله: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أي أفوت في حسن العمل من عمل القلب الراجع إلى الإيمان والكفر، وعمل الجسد المتبدي في الامتثال للحق والحيدة عنه. ١٥/٢٥٧

٨ـ **والكهف**: الشق المتسع الوسط في جبل، فإن لم يكن متسعاً فهو غار.

والرقيم: فعيل بمعنى مفعول من الرقم وهو الكتابة؛ فالرقيم كتاب كان مع أصحاب الكهف في كهفهم، قيل: كتبوا فيه ما كانوا يدينون به من التوحيد، وقيل: هو كتاب دينهم: دينٍ كان قبل عيسى ـ عليه السلام ـ وقيل: هو دين عيسى، وقيل: كتبوا فيه الباعث الذي بعثهم على الالتجاء إلى الكهف؛ فراراً من كفر قومهم. ٢٦٠/١٥

٩ـ و﴿ تَسْطِعْ ﴾: مضارع (اسطاع) بمعنى (استطاع)، حذف تاء الاستفعال تخفيفاً لقربها من مخرج الطاء، والمخالفة بينه وبين قوله: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾ للتفنن؛ تجنباً لإعادة لفظ بعينه مع وجود مرادفه.

وابتدئ بأشهرهما استعمالاً، وجيء بالثانية بالفعل المخفف؛ لأن التخفيف أولى به؛ لأنه إذا كرر ﴿ تَسْتَطِعْ ﴾ يحصل من تكريره ثقل. ١٥/١٦

١٠ـ ومن هنا تأتي الأقوال في تعيين ذي القرنين؛ **فأحد الأقوال:** أنه الإسكندر ابن فيليبوس المقدوني.

وذكروا في وجه تلقيبه بذي القرنين أنه ضفر شعره قرنين، وقيل: كان يلبس خوذة في الحرب بها قرنان، وقيل: رسم ذاته على بعض نقوده بقرنين في رأسه؛ تمثيلاً لنفسه بالمعبود (آمون) معبود المصريين وذلك حين ملك مصر.

والقول الثاني: أنه ملك من ملوك حمير هو تبع أبو كرب.

والقول الثالث: أنه ملك من ملوك الفرس وأنه (أفريدون بن أنفيان ابن جمشيد).

هذه أوضح الأقوال، وما دونها لا ينبغي التعويل عليه، ولا تصحيح روايته.

ونحن تجاه هذا الاختلاف يحق علينا أن نستخلص من قصته في هذه الآية أحوالاً تُقَرِّب تعيينَه وتزييفَ ما عداه من الأقوال.

وليس يجب الاقتصار على تعيينه من بين أصحاب هذه الأقوال، بل الأمر في ذلك أوسع، وهذه القصة القرآنية تعطي صفات لا محيد عنها: **إحداها**: أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً.

الثانية: أنه كان ملهماً من الله.

الثالثة: أن مُلْكَه شمل أقطاراً شاسعة.

الرابعة: أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكاناً كان مجهولاً وهو عين حمئة.

الخامسة: أنه بلغ بلادَ يأجوجَ ومأجوج، وأنها كانت في جهة مما شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية؛ فكانت وسطاً بينهما ـكما يقتضيه استقراء مبلغ أسبابهـ.

السادسة: أنه أقام سداً يحول بين يأجوج ومأجوج وبين قوم آخرين.

السابعة: أن يأجوج ومأجوج هؤلاء كانوا عائثين في الأرض فساداً، وأنهم كانوا يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك.

الثامنة: أنه كان معه قومٌ أهلُ صناعةٍ متقنة في الحديد والبناء.

التاسعة: أن خَبَرَهُ خَفِيٌّ دقيق لا يعلمه إلا الأحبار علماً إجمالياً ـكما دل عليه سبب النزولـ.

وأنت إذا تدبرت جميع هذه الأحوال نفيت أن يكون ذو القرنين إسكندر المقدوني؛ لأنه لم يكن ملكاً صالحاً، بل كان وثنياً؛ فلم يكن أهلاً لتلقي الوحي

من الله ، وإن كانت له كمالات على الجملة.

وأيضاً فلا يعرف في تاريخه أنه أقام سداً بين بلدين.

وأما نسبة السد الفاصل بين الصين وبين بلاد يأجوج ومأجوج إليه في كلام بعض المؤرخين ـ فهو ناشئ عن شهرة الإسكندر؛ فتوهم القصاصون أن ذلك السد لا يكون إلا من بنائه ، كما توهم العرب أن مدينة تدمر بناها سليمان ـ عليه السلام ـ.

وأيضاً فإن هيرودوتس اليوناني المؤرخ ذكر أن الإسكندر حارب أمة (سكيثوس).

وهذا الاسم هو اسم مأجوج ـ كما سيأتي قريباً ـ [1].

وأحسب أن لتركيب القصة المذكورة في هذه السورة على اسم إسكندر المقدوني أثراً في اشتهار نسبة السد إليه ، وذلك من أوهام المؤرخين في الإسلام.

ولا يعرف أن مملكة إسكندر كانت تبلغ في الغرب إلى عين حمئة ، وفي الشرق إلى قوم مجهولين عراة أو عديمي المساكن ، ولا أن أمته كانت تلقبه بذي القرنين.

وإنما انْتُحِلَ هذا اللقب له لما توهموا أنه المعني بذي القرنين في هذه الآية؛ فَمَنْحُه هذا اللقب من مخترعات مؤرخي المسلمين ، وليس رسم وجهه على النقود بقرنين مما شأنه أن يلقب به.

وأيضاً فالإسكندر كانت أخباره مشهورة؛ لأنه حارب الفرس والقبط وهما أمتان مجاورتان للأمة العربية.

---

١ ـ انظر القاموس الجديد تأليف لاروس في مادة سكيثس.

ومثل هذه المبطلات التي ذكرناها تتأتى لإبطال أن يكون الملك المُتَحدَّث عنه هو أفريدون؛ فإما أن يكون من تبابعة حمير فقد يجوز أن يكون في عصر متوغل في القدم.

وقد توهم بعض المفسرين أنه كان معاصراً إبراهيمَ -عليه السلام- وكانت بلاده التي فتحها مجهولة المواقع.

ولكن يبعد أن يكون هو المراد؛ لأن العرب لا يعرفون من خبره مثل هذا.

وقد ظهر من أقوالهم أن سبب هذا التوهم هو وجود كلمة (ذو) التي اشتهر وجود مثلها في ألقاب ملوك اليمن وتبابعته.

فالذي يظهر لي أن ذا القرنين كان ملكاً من ملوك الصين لوجوه:

أحدهما: أن بلاد الصين اشتهر أهلها منذ القدم بأنهم أهل تدبير وصنائع.

الثاني: أن معظم ملوكهم كانوا أهل عدل وتدبير للمملكة.

الثالث: أن من سماتهم تطويل شعر رؤوسهم وجعلها في ضفيرتين؛ فيظهر وجه تعريفه بذي القرنين.

الرابع: أن سداً وردماً عظيماً لا يعرف له نظير في العالم هو موجود بين بلاد الصين وبلاد المغول، وهو المشهور في كتب الجغرافيا والتاريخ بالسور الأعظم، وسيرد وصفه.

الخامس: ما روت أم حبيبة عن زينب بنت جحش -رضي الله عنهما- أن النبيﷺ خرج ليلة فقال: «**ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج هكذا**» وأشار بعقد تسعين (أعني بوضع طرف السبابة على

طرف الإبهام).

وقد كان زوال عظمة سلطان العرب على يد المغول في بغداد فتعين أن يأجوج ومأجوج هم المغول، وأن الردم المذكور في القرآن هو الردم الفاصل بين بلاد المغول وبلاد الصين، وبَانِيه ملكٌ من ملوكهم.

وأن وصفه في القرآن بذي القرنين توصيفٌ لا تلقيب؛ فهو مثل التعبير عن شاول ملك إسرائيل باسم طالوت.

وهذا الملك هو الذي بنى السد الفاصل بين الصين ومنغوليا، واسم هذا الملك (تسينشي هوانقتي) أو (تسين شى هو انق تي).

وكان موجوداً في حدود سنة سبع وأربعين ومائتين قبل ميلاد المسيح؛ فهو متأخر عن إسكندر المقدوني بنحو قرن.

وبلاد الصين في ذلك العصر كانت متدينة بدين (كنفيشيوس) المشرع المصلح؛ فلا جرم أن يكون أهل شريعته صالحين.

وهذا الملك يؤخذ من كتب التاريخ أنه ساءت حالته في آخر عمره، وأفسد كثيراً، وقتل علماء، وأحرق كتباً، والله أعلم بالحقيقة وبأسبابها.

ولما ظن كثير من الناس أن ذا القرنين المذكور في القرآن هو إسكندر ابن فيليبوس نَحَلُوه بناء السد، وزعموه من صنعه كما نحلوه لقب ذي القرنين.

وكل ذلك بناء أوهام على أوهام، ولا أساس لواحد منهما ولا علاقة لإسكندر المقدوني بقصة ذي القرنين المذكورة في هذه السورة. ١٦/١٩ـ٢٣

١١ ـ والذي يجب اعتماده أن يأجوج ومأجوج هم المغول والتتر.

وقد ذكر أبو الفداء[1] أن مأجوج هم المغول؛ فيكون يأجوج هم التتر.

وقد كثرت التتر على المغول؛ فاندمج المغول في التتر، وغلب اسم التتر على القبيلتين.

وأوضح شاهد على ذلك ما ورد في حديث أم حبيبة عن زينب بنت جحش أن النبيﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، وقد تقدم آنفاً.

ولا يعرف بالضبط وقت انطلاقهم من بلادهم، ولا سبب ذلك.

ويقدر أن انطلاقهم كان أواخر القرن السادس الهجري، وتشتت ملك العرب بأيدي المغول والتتر من خروج جنكيز خان المغولي واستيلائه على بخارى سنة ست عشرة وستمائة من الهجرة ووصلوا ديار بكر سنة ٦٢٨ هجرية، ثم ما كان من تخريب هولاكو بغداد عاصمة ملك العرب سنة ٦٦٠ هـ.

ونظير إطلاق اسمين على حي مؤتلف من قبيلتين إطلاق طسم وجديس على أمة من العرب البائدة، وإطلاق السكاسك والسكرن في القبائل اليمنية، وإطلاق هلال وزغبة على أعراب إفريقية الواردين من صعيد مصر، وإطلاق أولاد وزاز وأولاد يحيى على حي بتونس بالجنوب الغربي، ومرادة وفرجان على حي من وطن نابل بتونس. ١٦/٣٣ـ٣٤

١٢ـ وقوله: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: أي ما آتاني الله من المال والقوة

١ـ ابن كثير. (م)

خير من الخراج الذي عرضتموه، أو خير من السد الذي سألتموه.

أي ما مكنني فيه ربي يأتي بخير مما سألتم؛ فإنه لاح له أنه إن سد عليهم المرور من بين الصدفين تَحَيَّلوا؛ فتسلقوا الجبال، ودخلوا بلاد الصين؛ فأراد أن يبني سوراً ممتداً على الجبال في طول حدود البلاد حتى يتعذر عليهم تسلق تلك الجبال.

ولذلك سماه ردماً، والردم: البناء المردم، شُبِّه بالثوب المردم المؤتلف من رقاع فوق رقاع، أي سداً مضاعفاً.

ولعله بنى جدارين متباعدين، وردم الفراغ الذي بينهما بالتراب المخلوط؛ ليتعذر نَقْبُه.

ولما كان ذلك يستدعي عملة كثيرين قال لهم: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي بقوة الأبدان، أراد تسخيرهم للعمل لدفع الضرر عنهم.

وقد بنى ذو القرنين وهو (تسين شى هوانق تي) سلطان الصين هذا الردم بناءً عجيباً في القرن الثالث قبل المسيح، وكان يعمل فيه ملايين من الخدمة؛ فجعل طوله ثلاثة الآف وثلاثمائة كيلو متر، وبعضهم يقول: ألفاً ومائتي ميل.

وذلك بحسب اختلاف الاصطلاح في تقدير الميل، وجعل مبدأه عند البحر أي البحر الأصفر شرقي مدينة (بيكنغ) عاصمة الصين في خط اتجاه مدينة (مكدن) الشهيرة، وذلك عند عرض ٤٠,٤ شمالاً.

وطول ١٢,٠٢ شرقاً، وهو يلاقي النهر الأصفر حيث الطول ٥٠، ١١١ شرقاً، والعرض ٥٠، ٣٩ شمالاً.

وأيضاً في ٣٧ عرض شمالي، ومن هنالك ينعطف إلى جهة الشمال الغربي،

وينتهي بقرب ٩٩ طولاً شرقياً و ٤٠ عرضاً شمالياً.

وهو مبني بالحجارة والآجُرِّ، وبعضه من الطين فقط.

وسُمْكُه عند أسفله نحو ٢٥ قدماً وعند أعلاه نحو ١٥ قدماً وارتفاعه يتراوح بين ١٥ إلى ٢٠ قدماً، وعليه أبراج مبنية من القراميد ارتفاع بعضها نحو ٤٠ قدماً.

وهو الآن بحالة خراب فلم يبق له اعتبار من جهة الدفاع.

ولكنه بقي علامةً على الحد الفاصل بين المقاطعات الأرضية؛ فهو فاصل بين الصين ومنغوليا.

ويخترق جبال (يابلوني) التي هي حدود طبيعية بين الصين وبلاد منغوليا؛ فمنتهى طرفه إلى الشمال الغربي لصحراء (قوبي).

وقرأ الجمهور ﴿مَكَّنِّي﴾ بنون مدغمة، وقرأه ابن كثير بالفك على الأصل.

وقوله ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾: هو أمر لهم بمناولة زبر الحديد؛ فالإيتاء مستعمل في حقيقة معناه، وهو المناولة، وليس تكليفاً للقوم بأن يجلبوا له الحديد من معادنه؛ لأن ذلك ينافي قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي أنه غني عن تكليفهم إنفاقاً على جعل السد.

وكأن هذا لقصد إقامة أبواب من حديد في مداخل الردم؛ لمرور سيول الماء في شعب الجبل؛ حتى لا ينهدم البناء بأن جعل الأبواب الحديدية كالشبابيك تمنع مرور الناس، ولا تمنع انسياب الماء من بين قضبها، وجعل قضبان الحديد معضودة بالنحاس المذاب المصبوب على الحديد. ١٦/٣٤-٣٦